الباب الثاني

الحلم في القرآن والسنة

الفصلُ الأوّل : الحلمُ في معاني القُرآن الكريم .

الفصلُ الثَّاني : الحلمُ من الشَّمائلِ المحمَّديّة .

الفصلُ الثَّالث : توجيهاتٌ وأحاديثُ نبويَّةٌ في الحلم .

الفصلُ الأوّلُ

الحلمُ في معاني القُرآنِ الكريم

* الحلمُ من المفرداتِ التي ذُكِرَتْ في القرآنِ الكريمِ ، ولكنَّنا عند دراستنا للحلم في ضوء كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ألفينا ما يسترعي الانتباه بادىء الأمر ، إذ لاحظنا أنَّ الحِلْمَ لم يَرِدْ كثيراً في القرآنِ العظيم ، بل إنَّ مادَّةَ حلم واشتقاقاتها قد وردت في سبعة مواضعَ ، وهذه صورتها : (الحُلُم ، أحْلامٍ ، الأحلام ، أحلامُهم ، حليم ، الحليم ، حليماً) .

* وتحملُ مادّة الحلم معانيَ فتقول : حَلَمَ في نومه ؛ يحْلُم حُلْماً وحُلُماً : رأى في منامه رؤيا .

وحَلَم الصَّبيُّ يحلمُ حُلُماً واحتلم : أدرك وبلغَ مبلغَ الرِّجال .

والحُلُم : هو ما يراهُ النَّائمُ ، وجمعُه أحلام .

والحُلُم : الإدراكُ وبلوغُ مبلغ الرِّجال .

والحِلْم : بكسر الحاء ، العَقْل ، وجمعُه أحلام وحلوم .

والذي يهمُّنا من هذه المعاني كلمة الحِلْم : فالحِلْم معناه : ضَبْطُ النَّفسِ عند الغضب ، فتقول : حَلُمَ يَحْلُم حِلماً ، فهو حليم . والحليمُ في أسماء الله تعالى : لا يعاجل بالعقوبة .

* وقد وردَتْ كلمة حليم (١١ مرّة) في القرآن الكريم ، وحليماً (٣ مرات) ، منها اسم الله « حليم » الذي اقترنَ بالمغفرة في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٥] ، وكذلك في قوله : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ١٠١] ، وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] ، و ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : ٤١] .

* كما نجدُ أنَّ لفظة « حليم » قد اقترنت بالغنى في قوله تعالى : ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ

﴿غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٦٣] ، على أنّنا نجدها قد اقترنت بالعلم في مواضع في قوله تعالى : ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء : ١٢] ، وفي قوله عزَّ وجلَّ : ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج : ٥٩] ، وفي قوله : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾

[الأحزاب : ٥١] .

* كما ارتبطت لفظة « حليم » بالشُّكر في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن : ١٧] ، أمّا لفظة « أحلامهم » في صيغة الجمع ، فلم تَرِدْ إلا مرَّةً واحدةً في قوله تعالى : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطور : ٣٢] ، وأحلامهم هنا : عقولُهم ، والخطابُ موجَّهٌ في هذه الآية الكريمة للحبيب الأعظم ﷺ ؛ ومعناها : أهذا التكذيب لك يا محمد ؟ والأقوال التي قالوها ، هل صدرت عن عقولهم وأحلامهم ؟ فبئس العقولُ والأحلامُ التي هذه نتائجها وهذه ثمراتها .

* إنَّ عقولاً جعلت أكملَ الخَلْقِ عقلاً مجنوناً ، وجعلت

أصدقَ الصِّدَّقِ ، وأحقَّ الحقِّ كذباً وباطلاً ، لهي العقول التي ينزَّه المجانين عنها .

* أمّا الذي حملهم على ذلك فهو ظلمُهم وطغيانُهم ؛ وهو الواقع ، فالطُّغيان ليس له حدٌّ يقفُ عنده ، فلا يُستغرب من الطّاغي المتجاوز الحدّ كلّ قولٍ وفعلٍ صدر منه[1] .

* ومن أوائل الذين تنبَّهوا إلى مادّة الحلم في القرآن ، ولاحظوا أنّها قليلةٌ : الحسنُ البصري كبير التابعين حيث قال : ما نعتَ اللهُ تعالى الأنبياء نعتاً أقلَّ مما نعتهم به من الحلم ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود : ٧٥] ، وقال أبو عبيدة : يعني أنَّ الحلمَ في النّاس عزيز .

* وقال أبو عثمان الجاحظ : وفي طولِ ما مدحَ الله به عباده الصَّالحين ، لم يمدحهم بشيءٍ أكثر من ذكره لهم بالحلم ، ولم نجد ذلك إلا في موضعَيْن من القرآن العزيز .

---

(١) انظر : تفسير السَّعدي (ص ٧٥٨) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ١٩٩٦ م .

* وأوَّلُ هذين الموضعَيْن ما يخصُّ نبيَّ الله إبراهيم عليه السَّلام ، حيث ذكره ربُّنا عزَّ وجلَّ بقوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] ، وقوله عن إبراهيم أيضاً : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود : ٧٥] .

* وثاني الموضعَيْن في ابنه إسماعيل عليه السَّلام ، إذ قال : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١] .

* هذا ومعنى قوله عزَّ وجلَّ في سورة التوبة : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] ، أي رجَّاعٌ إلى اللهِ في جميع الأمور ، كثير الذِّكرِ والدُّعاء والاستغفار والإنابة إلى ربِّه .

* و « حليم » يعني : ذو رحمةٍ بالخَلْقِ ، وصفحٍ عمّا يصدرُ منهم إليه من الزلات ، لا يستفزُّه جهل الجاهلين ، ولا يقابلُ الجاني عليه بجرمه ، فأبوه قال له : ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ ، وهو يقولُ له : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ﴾ .

* ومعنى قوله عزَّ وجلَّ في سورة هود : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ يعني : ذو خلقٍ وسِعَةِ صدرٍ ، وعدم غضب عند جهلِ الجاهلين . و ﴿ أَوَّٰهٌ ﴾ أي : متضرِّعٌ إلى الله في جميع الأوقات .

و ﴿منيب﴾ : رجَّاعٌ إلى الله بمعرفته ومحبَّته والإقبالِ عليه ، والإعراض عمَّن سواه، فلذلك كان يجادِلُ عمّن خَتَمَ اللهُ بهلاكهم.

* وأمّا معنى قوله تعالى في سورة الصَّافات ، في صفة إسماعيل عليه السَّلام : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ ، وصَفَهُ اللهُ بالحلم ، وهو يتضمَّنُ الصَّبرَ ، وحُسنَ الخُلُق ، وسِعَةَ الصَّدرِ ، والعفوَ عمّن جنى ، وفي قصَّةِ إسماعيل مع أبيه إبراهيم عليهما السَّلام ما يُشيرُ إلى الحِلْمِ ، وخصوصاً في قصَّة الذَّبيح وبناء الكعبة .

* على أنّنا نلمحُ معنًى آخر لكلمة « حليم » يخالفُ ما ذكرناهُ ، وذلك في قول المشركين من قوم شعيب عليه السَّلام : ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] ، فهم يقصدون هنا السَّفَه على لسانهم ، ويقولون هذا على سبيل الاستهزاء والتَّنقُّص والتَّهكُّم ؛ قال ابنُ عبّاس وجمهورٌ من العلماء والمفسّرين : يقول ذلك أعداء الله على سبيل الاستهزاء[1] .

---

(١) انظر : قصص الأنبياء (ص ٢٢٤) .

* قال الشَّيخُ عبد الرحمن السَّعدي في تفسيره للآية : ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] ، أي : إنّكَ أنت الذي الحلمُ والوقارُ خُلُقٌ لك ، والرُّشدُ لك سجيّة ، فلا يصدرُ عنكَ إلا رشد ، ولا تأمرُ إلا برشد ، ولا تنهى إلا عن غي ، إنَّ الأمرَ ليس كذلك ، قالوا ذلك على وجه التَّهكُّم بنبيِّهم والاستبعاد لإجابتهم له . وقصدهم : أنّه موصوفٌ بعكسِ هذين الوَصفَيْن : بالسَّفه والغواية ؛ والمعنى : كيف تكون أنتَ الحليم الرَّشيد ، وآباؤنا هم السُّفهاءُ الغاوون ؟! فكيف نتبعُكَ ونتركُ آباءنا الأقدمين أولي العقول والألباب ؟!

* وهذا القولُ الذي أخرجوه بصيغةِ التَّهكُّم ، وأنَّ الأمرَ بعكسه ، ليس كما ظنُّوه ، بل الأمرُ كما قالوه . إنَّ صلاتَه تأمرهُ أن ينهاهُم عمّا كان يعبدُ آباؤهم الضَّالُّون ، وأن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون ، فإنَّ الصَّلاةَ تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وأيُّ فحشاء ومنكر أكبر من عبادةِ غير الله ؟! ومن

مَنْعِ حقوقِ عبادِ الله ، أو سرقتها بالمكاييل والموازين ، وهو عليه الصَّلاةُ والسَّلام الحليم الرَّشيد ؟![1] .

* إنَّ قلَّةَ ورودِ الحلم في القرآن الكريم ، لا يعني أنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يوصي به عباده ؛ فقد نوَّه القرآنُ الكريمُ إلى هذه الخصلةِ المحمودةِ في آياتٍ كثيرةٍ دون أن يذكرها صراحةً ، وذلك من مثل قوله تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٢] ، وقوله : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

* وقد وردَ في تفسير بعض الصَّحابة لبعض الآيات بالحلم ، كما جاء عن أبي رزين[2] رضي الله عنه ، أنَّه فسَّرَ قوله تعالى : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] ، قال : يعني كونوا حلماء علماء .

* وجاءَ عن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله

---

(١) انظر : تفسير السَّعدي (ص ٣٤٣) بتصرف .

(٢) انظر ترجمته في الإصابة (١١/ ١٣١ و ١٣٢) ترجمة رقم (٤٠٧) .

عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، قال : حلماء ، إن جُهِلَ عليهم لم يجهلوا .

* وجاءَ عن عطاء بن أبي رباح ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، قال : حلماء علماء[1] .

* ومن الإشراقات الجميلة في أدبِ الحلم في القرآن الكريم ، أنَّ الحليم من أسماء الله الحُسنى ، قال ابن قيّم الجوزية نظماً :

وهو الحليمُ فلا يعاجلُ عبدَهُ بعقوبةٍ ليتوبَ من عصيانِ

* قال الشَّيخُ عبد الرَّحمن السَّعدي في تعليقه على هذا البيت : ومن أسمائه سبحانه الحليم ، فالحليم : الذي له الحلم الكامل الذي وسعَ أهل الكفر والفسوق والعصيان ، حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة رجاء أن يتوبوا ، ولو شاء الله لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم ، فإنَّ الذُّنوبَ

---

(١) انظر في هذا تفسير ابن كثير للآيات السابقة .

تقتضي ترتُّبَ آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوِّعة ، ولكنَّ حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [فاطر : ٤٥] .

* * *

الفصلُ الثَّاني

الحِلْمُ مِنَ الشَّمائِلِ المُحمَّديَّةِ

* لئن كان الحِلْمُ سيِّدَ الأخلاق ، لقد أُوتي سيِّدُنا محمد رسول الله ﷺ جماعَ الأخلاقِ كلِّها ، فكان الأوَّلَ في كلِّ سجيَّةٍ خُلُقاً كريماً من حلمٍ وحياءٍ وصدقٍ ، وكلّ هذه المكارم ، وقد شهد ربُّنا عزَّ وجلَّ بحُسنِ خُلُقه ، فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

* وكان الحبيبُ المصطفى ﷺ حليماً عفوًّا مع القُدْرةِ على الانتقام ممّن جهلَ ، ولكنَّ شمائله الشَّريفة ، وسجاياهُ العالية ، وتربيتَه الكريمة على عين الله عزَّ وجلَّ ، جعلته حليماً رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين ، وقد تجاوزَ عن كثير من الناس ، فلما رأوا حلمَه آمنوا واهتدوا إلى طريق النور ، وسبيل الحق .

* قال ربُّنا عزَّ وجلَّ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[1] [الأعراف : ١٩٩] ، قال الشّعبي ـ رحمه الله وهو من كبار التّابعين ـ : لمّا أنزلَ الله عزَّ وجلَّ هذه الآية ؛ قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام : « ما تأويلُ هذه الآية يا جبريل » ؟!

قال : لا أدري حتى أسألَ العالم ؛ فصَعِدَ ثم نزل ، فقال : يا محمّد! إنَّ الله تبارك وتعالى أمرَ أن تعفوَ عمَّن ظلمكَ ، وتعطيَ مَنْ حرمكَ ، وتَصِلَ مَنْ قطَعَكَ[2] .

---

(١) أخذ أحد الأدباء هذه الآية ، واستخدم من خلالها الاقتباس ، ثم الجناس الكامل فقال :

خُذِ العفوَ وأْمُرْ بعرفٍ كما ... أمِرْتَ وأعْرِضْ عنِ الجاهلين
ويا صاحبَ الجاهِ كُنْ ليِّناً ... فمُستحْسَنٌ من ذوي الجاه لين

(٢) انظر : سبل الهدى والرشاد للصالحي (٧/ ٣٢) ، وانظر هذا في كنز العمّال برقم (٥٨٢٨) ، وإحياء علوم الدين (٣/ ١٧٢) ، والجامع الصغير (١/ ٥) ، قال الألباني : ضعيف . وانظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (١٥٧٥) ، وضعيف الجامع (١/ ٦٣) برقم (٣٢) .

* إنَّ الحلمَ النّبوي ، والرَّحمةَ المحمّديّة هديَّةٌ ربانيَّةٌ جعلها الله عزَّ وجلَّ في الحبيب المصطفى ﷺ ليكون رؤوفاً بالمؤمنين ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، قال قتادة ـ رحمه الله ، وهو تابعي جليل القدر ـ : طهَّرَ اللهُ رسولَهُ من الفظاظة والغلظة ، وجعلهُ قريباً رؤوفاً بالمؤمنين رحيماً .

* لقد كان النَّبي ﷺ حليماً على اليهود ، يعاملُهم بالحلم ، فمن صورِ حلمه ﷺ على اليهود ، تلك الصُّورةُ الجميلةُ الحانيةُ التي جعلت أحد أحبار اليهود يُسلمُ مع أهله ، فقد ذكرتِ المصادرُ الحديثيَّةُ وكتبُ التّراجمِ والسِّيَرِ وغيرها عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، أنَّ زيد بن سُعْنَة ـ وهو أحد أحبار اليهود ـ قال : إنّه لم يبقَ من علاماتِ النُّبوَّةِ شيءٌ إلا وقد عرفتُها في وجه محمد ﷺ حين نظرتُ إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبقُ حلمه جهْلَهُ ، ولا تزيدُه شدَّةُ الجهلِ إلا حلماً ؛ فكنتُ أتلطَّفُ له لأن أخالطهُ فأعرف حلمه ، فابتعتُ منه تمراً معلوماً إلى أجلٍ معلوم ، وأعطيتُه الثَّمن ،

فلما كان قبل محلِّ الأجل بيومين أو ثلاثة ، أتيتُه فأخذتُ بمجامع قميصه وردائه ، ونظرتُ إليه بوجهٍ غليظٍ فقلتُ : يا محمد ، ألا تقضيني حقّي ؟ فوالله إنّكم يا بني عبد المطّلب لمُطْلٌ ، وقد كان لي بمخالطتكم عِلْمٌ ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أيّ عدوَّ اللهِ! أتقولُ لرسول الله ﷺ ما أسمعُ ؟! فوالله لولا ما أُحاذِرُ فوتَه لضربتُ بسيفي رأسكَ ؛ ورسول الله ﷺ ينظرُ إلى عمر في سكونٍ وتؤدة وتبسُّم ، ثمّ قال : « أنا وهو كنّا أحوجُ إلى غير هذا منك يا عمر ، تأمُرني بحسنِ الأداء ، وتأمره بحسن التباعة » ، ثم قال : « لقد بقي من أجله ثلاثٌ ، اذهب يا عمر فاقْضه حقَّه ، وزِدْه عشرين صاعاً مكان ما روَّعته » ، ففعلَ عمر رضي الله عنه .

فقلتُ ـ القائلُ هو زيد بن سُعْنة ـ : يا عمر ، كلُّ علاماتِ النُّبوَّةِ قد عرفتُها في وجه رسول الله ﷺ إلا اثنتين لم أخْبَرْهُما منه ، يسبِقُ حلمه جهله ، ولا تزيده شدّةُ الجهل عليه إلا حلماً ، فقد خبرتهما ، فأشهدكَ أنّي رضيتُ بالله تعالى ربًّا ، وبالإسلامِ ديناً ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ، وإنّي أشهدكَ أنَّ هذا التَّمرَ

وشطرَ مالي في فقراء المسلمين ، وأسلم هو وأهل بيته كلّهم ، إلا شيخاً غلبت عليه الشّقوة .

* وهكذا أسلمَ زيد بن سُعْنة ، وشهدَ مع النَّبي ﷺ مشاهدَ كثيرة ، وتوفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مُدبرٍ ، وكان سببَ إسلامه حلم الحبيب المصطفى ﷺ[1] .

* إنَّ الحلمَ والاحتمالَ والعفو والصَّفحَ والإغضاءَ من سجايا الحبيبِ المصطفى ﷺ وأخلاقه الشَّريفة ، ولا عجبَ أن كان ﷺ كالبحر الفرات العذب ، لا يعكِّره شيءٌ ولا يُكدِّره ، ولا تنزفه الدلاء ، وما من حليمٍ إلا عُرِفَتْ منه هفوة ، وحُفِظَتْ عنه زَلَّة ، إلا الحبيبُ الأعظم ، والنَّبيُّ المُفخَّم ، محمد ﷺ ، فكان لا يزيدُه إسرافُ الجاهلين إلا

---

(١) انظر المستدرك للحاكم (٢/ ٦٠٥) ، والاستيعاب (٤/ ٦٣) ترجمة رقم (٨٤٩) ، والإصابة (٤/ ٥٤ و ٥٥) ترجمة رقم (٢٨٩٨) ، وأسد الغابة (٢/ ٢٣١ و ٢٣٢) مع الجمع والتصرف اليسير بينهما . وقد روى قصة إسلامه الطبراني ، وابن حبان ، والحاكم ، وأبو الشيخ في أخلاق النَّبي ﷺ .

حلماً وصبراً ، « وما انتقمَ لنفسه قطّ إلا أن يُنتهكَ شيءٌ من محارم الله عزَّ وجلَّ ، فينتقم منه »[1] .

* ومن روائع حلمهِ ﷺ على الجفاة الجاهلين ، ما وردَ أنّه جاءه أعرابي ذات يوم فجبَذَهُ جَبْذَةً شديدةً حتى أثَّرَتْ حاشيةُ الثَّوبِ في صفحةِ عاتقه ، ثم قال : يا محمد ، احمِلْ لي على بعيرَيَّ هذين من مال الله الذي عندك ، فإنَّكَ لا تحملُ لي من مالك ، ولا من مال أبيك! فسكتَ النَّبي ﷺ ثم قال : « المالُ مالُ اللهِ وأنا عبدُه »!! ثمّ قال : « ويُقادُ منكَ يا أعرابي ما فعلتَ بي » .

قال : لا .

قال : « لِمَ » ؟

قال : لأنَّكَ لا تكافىءُ السَّيّئة بالسيِّئة ؛ فضحكَ النَّبي ﷺ وسُرَّ من جوابه ، وأمرَ أن يُحمَلَ له على بعيرٍ شعير ، وعلى الآخر تمر .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه .

* وكان الحبيب الأعظمُ ﷺ حليماً على المنافقين[1] الذين كانوا يؤذونه إذا غاب ، ويتملَّقونه إذا حضر ، وهذه الطِّباعُ النِّفاقيّةُ تنفرُ منها النُّفوسُ البشريَّةُ الصّافية ، ومع هذا كلّه كان ﷺ يستغفرُ لهم إلى أن نزلَ النَّهيُ الإلهيُّ : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [المنافقون : ٦] فتركَ الاستغفار .

* ومن قصَصِ حلمه ﷺ على المنافقين ، ما رواه أبو الشّيخ وابن حبّان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله ﷺ جعل يقبضُ يوم حُنَيْن من فضَّةٍ في ثوب بلال ويُفرِّقُها ، فقال له رجلٌ : يارسول الله ، اعْدِلْ ، فقال : « ويحكَ مَنْ يعدِل إذا أنا لم أعدِلْ ، قد خِبْتُ وخسرتُ إذا كنتُ لا أعدل » .

فقال عمر : ألا أضربُ عُنقه ، فإنّه منافق .

---

(١) قال ابنُ عبّاس رضي الله عنهما : كان المنافقون من الرجال ثلاثمئة ، ومن النساء مئة وسبعين .

فقال : « معاذَ الله أن يُتحدَّثَ أنّي أقتلُ أصحابي »[1] .

* وبهذه الشَّمائلِ الحِسانِ كان الحبيبُ الأعظمُ ﷺ يعاملُ النّاسَ ، ويرسمُ لهم طريقَ الحلم كي يسلكوه ، فصلَّى الله عليه وسلم ، وجعلنا من الحُلَماء .

* * *

(١) انظر : سُبل الهدى والرّشاد للصالحي (٧/ ٣٥) .

الفصلُ الثّالث

توجيهاتٌ وأحاديثُ نبويَّةٌ في الحلم

* لقد عظَّمَ الإسلامُ الحنيفُ أمرَ الحلم ، ومجَّدَ الأناة التي هي من الحلْم أو قرينته ، واللهُ عزَّ وجلَّ يحبُّ هاتَيْن الخَصلتَيْن : الحلم والأناة .

* أخرجَ الإمامُ مسلم في صحيحه عن ابن عبّاس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ لأشجّ عبد القيس : « إنَّ فيكَ خصلتَيْن يحبُّهُما الله الحلمُ والأناةُ »[1] . ويروى أنَّ

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان ؛ وأخرجه أبو داود برقم (٥٢٢٥) ، وأحمد (٤/ ٢٠٥ و ٢٠٦) .

وانظر : كنز العمّال برقم (٥٨٣٦ و ٥٨٣٧) ، ومجمع الزوائد (٥/ ٦٤) ، وهذا الحديث يُبيِّنُ فضل الحلم والرفق في=

الأشجَّ قال : الحمدُ لله الذي جعلني على خُلُقَيْنِ يحبُّهما الله ورسوله ؛ وإنَّ قولَ رسول الله ﷺ للأشجِّ تفسيرٌ لقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

* ومن روائع التَّوجيهات ، وبدائع الإشارات النَّبويَّة في الحلم ، ما حدثَ في عَصْرِ الحبيبِ الأعظم ﷺ وفي مسجده الشَّريف ، وظهر منه ﷺ خُلُق الحلم بأعلى صوره ، وذلك في قصَّة الأعرابي الجاهل الذي بال في المسجد ، وهو لا يقدِّر حرمةَ المسجد .

* أخرج البخاري ـ رحمه الله ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : بالَ أعرابيٌّ في المسجد ، فقام الناس إليه ليقعوا فيه ، فقال النَّبي ﷺ : « دعوه ، وأريقوا على بوله سَجْلاً[1] من ماء ، فإنَّما بُعثتم ميسِّرين ، ولم تُبعثوا معسِّرين » .

* وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه ، قال :

= الأمور ، وكيف أنَّ العبد إذا تمسَّكَ بهما دخل في محبَّة الله عزَّ وجلَّ .

(١) « السَّجْلُ » : الدَّلو المملوء ماء .

بينما نحنُ في المسجد مع رسول الله ﷺ ، إذ جاء أعرابي فقام يبولُ في المسجد ، فقال أصحابُ رسول الله ﷺ : مَهْ مَهْ ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تُزْرموه[1] دعوه » ؛ قال أنس : فتركوه حتى بال ، ثم إنَّ رسول الله ﷺ دعاه فقال له : « إنَّ هذه المساجد لا تصلحُ لشيءٍ من هذا البول والقذر ، إنَّما هي لذكر الله ، والصلاة ، وقراءة القرآن » .

قال أنس : وأمرَ رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من ماءٍ فشنَّه عليه .

* وهكذا علَّمَ الحبيبُ الأعظمُ أصحابَه كيف يكون الحلم بالجاهلين ، وأرشدهم إلى كيفية الرِّفق بهم ، وعلَّمهم كيف يجب أن يكون الحلم بالدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ ، وأن يكونوا ميسِّرين لا معسِّرين ، كما تظهرُ حكمةُ النَّبي ﷺ لهذا الأعرابي الجاهل بآداب المسجد ، وتدلُّ أيضاً على حلمه ﷺ ، وعلى رِفْقِه وحسن سياسته مع ألوان النّاس وأشكالهم ، وهذا هو

---

(١) « لا تُزرموه » : أي لا تقطعوا عليه بوله .

الخُلـقُ العظيـم ، خُلُـقُ الحلـم الـذي مَلَـكَ بـه ﷺ قلـوبَ أصحابه ، وقلوبَ النّاس أجمعين .

* والحلمُ ينبوعٌ ثَرٌّ عند الحبيب الحليم المصطفى ﷺ ، فقد كان حلمُه حلماً عظيماً في أقسى حالات الشدَّة التي واجهها من قِبَلِ قومه ، ومع هذا لم يَدْعُ على الذين آذوه منهم في الوقت الذي كان باستطاعته أن يدعوَ عليهم فيهلكهم الله عزَّ وجلَّ .

* فالرسول ﷺ هو الكامل الحليم ، فقد كان ينظر إلى الغد القريب ، فهو يحلُم على قومه ، فلعلَّهم بعد مدّةٍ يؤمنون فينجون من النَّار ، فيحلُم بهم رجاء إصلاحهم .

* ومَنْ منّا لا يعرفُ ما لاقاه الحبيبُ الأعظمُ محمد ﷺ عندما سعى إلى الطّائف لتبليغ رسالته إلى ثقيف ، فصدُّوه وسخروا منه ، وخافوا على أحداثهم وشبابهم من دعوته ، وقالوا له : يا محمد ، اخرج من بلدنا ، والْحَقْ بمحابّك من الأرض .

* فقامَ الحبيبُ الأعظمُ ﷺ ، وقد يئسَ من خيرهم ،

وزادوا في فجورهم ، إذ أغروا عبدانهم وسفهاءهم يسبُّونه ، ويصيحون به سخريةً واستهزاءً ، حتى جمعوا غوغاءهم وأشرارهم ، وقعدوا له صفَّيْن على طريقه ، فصاروا يرضخونه بالحجارة حتى أخضبت نعلاه بالدماء ، إلى أن خرجَ من الطائف ، واطمأنَّ ، ثم إنَّه دعا الله عزَّ وجلَّ بهذه الكلمات المنيرات العظيمات ، فقال : « اللهمَّ إنّي أشكو ضعف قوّتي ، وقِلَّةَ حيلتي ، وهواني على النّاس ، يا أرحم الرَّاحمين ، أنتَ ربُّ المُستضعَفين ، وأنتَ ربّي ، إلى مَنْ تكِلُني ؟ إلى بعيدٍ يتجهَّمني ، أم إلى عدوٍّ ملَّكْتَهُ أمري ؟ إن لم يكن بكَ عليَّ غضبٌ فلا أُبالي ، ولكنَّ عافيتَكَ هي أوسعُ لي ، أعوذُ بنورِ وجهكَ الذي أشرقَتْ له الظُّلُمات ، وصلح عليه أمرُ الدُّنيا والآخرة من أن تُنزِلَ بي غضبكَ ، أو يحلَّ عليَّ سخطكَ ، لكَ العُتبى حتى ترضى ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بكَ » .

* تُرى ، أيُّ حُلُمٍ كان ، وأيُّ صَفْحٍ كان صفحُه ﷺ ؟! هذا ما سنقرؤه في الحديث التّالي :

* أخرج البخاري في بَدْءِ الخَلْق ؛ ومسلم في المغازي ، والنّسائي في البعوث ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، أنّها قالت للنبيِّ ﷺ : هل أتى عليكَ يومٌ كان أشدَّ عليكَ من يوم أُحُد ؟

فقال النَّبي ﷺ : « لقد لقيتُ من قومك ، وكان أشدّ ما لقيتُ منهم يوم العقبة ، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال ، فلم يُجبني إلى ما أردتُ ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي ، فلم أستفِقْ إلا وأنا بقرنِ الثّعالب ، فرفعتُ رأسي ، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّتْني ، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ عليه السَّلام ، فناداني فقال : إنَّ اللهَ قد سمعَ قولَ قومكَ لكَ ، وما ردُّوا عليكَ ، وقد بعثَ إليكَ مَلَكَ الجبال لتأمرَه بما شئت فيهم ، فناداني مَلَكُ الجبال : قد بعثني إليكَ ربُّكَ لتأمرني بما شئتَ ، وإن شئتَ أن أُطْبِقَ عليهم الأخشبَيْن ؛ فقال رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يُخرِجَ اللهُ من أصلابهم مَنْ يعبدُ الله وحده لا يُشركُ به شيئاً » .

* هذا هو الحلمُ النَّبوي ، وهذه هي الأخلاقُ المحمّديّة

التي زيَّنَتْ وجه الدُّنيا ، وجيدَ الدَّهر بمآثرها وآثارها الحِسان .

* ومن الأدعية النَّبويَّة التي وردت في الحلمِ أنَّه كان من دعاء رسول الله ﷺ : « اللهمَّ أغنني بالعلم ، وزيِّني بالحلم ، وأكرمني بالتّقوى ، وجَمِّلني بالعافية »[1] .

* وأورد الغزالي ـ رحمه الله ـ في « الإحياء » جملةً من الأحاديث النَّبويّة التي ترشدُ إلى التخلُّقِ بالحلم ، ومنها :

« ابتغوا الرِّفعة عند الله » ؛ قالوا : وما هي يارسول الله ؟ قال : « تَصِل مَنْ قطَعَكَ ، وتُعطي مَنْ حرَمَكَ ، وتحلُم عمّن جَهِلَ عليكَ »[2] .

وقال : « خمسٌ من سنن المرسَلين : الحياء ، والحلم ، والحجامة ، والسِّواك ، والتَّعطُّر »[3] .

---

(١) هذا الحديث أورده السُّيوطي في جمع الجوامع (١/ ٣٨٠) ، وعزاه إلى الرافعي عن ابن عمر ؛ وانظر الإحياء (٣/ ١٧٦) .

(٢) الإحياء (٣/ ١٧٧) .

(٣) الإحياء : (٣/ ١٧٧) .

وقال : « إنَّ الرَّجلَ المسلمَ ليُدركُ بالحلمِ درجةَ الصَّائمِ القائم »[1] .

* وللحلم مساحةٌ كُبرى في الحديث النَّبوي ، وقد أبان الحبيبُ الأعظمُ ﷺ صفات الحليم فيما أخرجه أحمد والتّرمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال النَّبي ﷺ : « لا حليمَ إلا ذو عَثَرة ، ولا حكيمَ إلا ذو تجربة »[2] .

* وعلَّقَ أبو حاتم البُسْتي على هذا الحديث فقال :

---

(١) جمع الجوامع (١/١٩٨) ، قال الألباني : ضعيف . انظر ضعيف الجامع برقم (١٤٥٣) ؛ وسلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٣٠٠٢) .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٨ و ٦٩) ، والترمذي في البرّ والصِّلة برقم (٢٠٣٣) ، وابن حبّان في الموارد برقم (٢٠٧٨) ، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٥٦٥) ، والحاكم في المستدرك (٤/٢٩٣) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/٣٢٤) .

إنَّ العربَ تضيفُ إلى الشَّيء للقربِ من التَّمام ، وتنفي الاسم عن الشَّيء للنَّقصِ عن الكمالِ ، فلمّا كان الغالبُ على المرءِ ألا يكون حليماً حتى يكونَ ذا عثرة ، نفى النَّبي ﷺ اسمَ الحليم عمَّنْ لم يكن بذي عثرة ، لنقصه عن الكمال . فالحليم عظيم الشَّأنِ ، رفيعُ المكانِ ، محمودُ الأمر ، مرضيُّ الفعلِ . والحلم : اسمٌ يقعُ على ذمِّ النَّفسِ عنِ الخروجِ عند الورود عليها ضدَّ ما تُحبُّ ، إلى ما نُهي عنه ، فالحلمُ يشتملُ على المعرفةِ والصَّبرِ والأناةِ والتَّثبُّتِ ، ولم يقرن شيءٌ إلى شيءٍ أحسنُ من عفوٍ إلى مقدرة ، والحلمُ أجملُ ما يكون من المقتدر على الانتقام[1] .

* * *

(١) روضة العقلاء (ص ٣٤٥) .